

# المؤسسات الدينية الإسلامية.. تطابق الديني والسياسي

أحمد خلف

لإغاثة الجرحى والمصابين والتصدي لهذا العدوان الأثم؛ لأن ما حدث جريمة في حق البشرية جمعاء.

وقال: على الفلسطينيين أن يعتصموا بحبل الله جميعاً لرأب الصدع فيما بينهم، وأن يعملوا على حل مشكلاتهم بالحوار الحكيم وبالقول الكريم وبالفعل الإيجابي السليم، ليتسنى لهم التصدي لهذا العدوان الأثم، وقدم خالص عزاء الأزهر لأسر الشهداء<sup>(١)</sup>.

وطالب مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف برئاسة شيخ الأزهر بسرعة اتخاذ كل الإجراءات التي تُوقف العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، ووصف العدوان بأنه ما هو إلا جرائم حرب يجرمها الضمير الإنساني ويحاسب عليها القانون الدولي. ودعا المجمع الفصائل الفلسطينية إلى وحدة الكلمة ليواجهوا عدوهم وهم يد واحدة. كما دعا المجمع الحكام العرب والمسلمين إلى وحدة الرأي من أجل إنهاء هذا العدوان الغادر. واستنكر المجمع توجيه الرصاص إلى صدور من كانوا عوناً للقضية الفلسطينية (في إشارة إلى استشهاد الرائد ياسر فريخ عيسوي من قوات حرس الحدود المصرية برصاص عناصر - نسبها البعض إلى حركة حماس - قرب بوابة صلاح الدين برفح المصرية)، مطالباً بتوجيهه إلى الأعداء الحقيقيين للشعب الفلسطيني. وحملَ المجتمع الدولي مسؤولية إيقاف الجرائم الوحشية التي يقوم بها جيش الاحتلال الإسرائيلي، والتي من شأنها تهديد السلام العالمي، واغتيال فرص التوصل إلى حلٍّ عادل ودائم وشامل للقضية الفلسطينية.

كما أعلن المجمع أن مصافحة المسلم لغير المسلم تؤكد سماحة الإسلام، وقال في بيان أصدره في ٢٠٠٩/١/٨: إن

جاءت أحداث العدوان الإسرائيلي الغاشم على قطاع غزة لتكشف عن كثير من التفاعلات البينية داخل



مؤسسات الأمة المختلفة. وبالنظر في أوضاع المؤسسات الدينية الإسلامية، نرى العدوان كاشفاً لأكثر من دلالة تتعلق بتبعية الديني للسياسي أو استقلاله عنه. كما تظهر دلالات أخرى تتعلق بالمدى المتاح لإمكانية حركة المؤسسات الدينية الرسمية وغير الرسمية، وأيضاً بشأن ما يتصل بأوضاع المؤسسات الدينية فيما يسمى بدول «محور الاعتدال» وتلك التي تسمى بـ«محور الممانعة». إلى جانب تباين مستويات الخطاب بين الرسمي وغير الرسمي، والخطاب الواقعي، وذلك الذي يتحدث خارج سياق التاريخ، بالإضافة إلى الخطاب الذي يستدعي ذاكرة حضارية وتاريخية أو يستدعي مشروعاً له رؤية واضحة، وبين الخطاب الذي تغيب عنه الرؤية ولا ينتمي لمشروع، ويعيش في ظل لغة إعلامية تجاوزها الزمن وطمرتها عواصف التغيير.

أولاً: المؤسسات الدينية الرسمية في مصر

●● الأزهر

مع بداية العدوان وجّه شيخ الأزهر نداءً إلى كل القوى المحبة للسلام والمجتمع الدولي أن يتوحدوا ضد العدوان الإسرائيلي المجرم على الشعب الفلسطيني في غزة، وهو ما يمثل اعتداءً على ما نادى به الشرائع السماوية والقوانين الدولية، وقال: على القوى الدولية ومنظمات حقوق الإنسان والعالم الإسلامي والشعب العربي تقديم يد العون العاجلة

## رفض العديد من العلماء ما ذكره الحييدان من عدم جواز التظاهر وتعجبوا من صدور مثل هذا الكلام وإطلاق وصف «الإفساد» على المظاهرات

المفتي: إن ما يرتكبه جيش الاحتلال الإسرائيلي في قطاع غزة هو جريمة إنسانية تتطلب تكاتف العالمين العربي والإسلامي لاتخاذ موقف موحد ضد ما يرتكبه الاحتلال الإسرائيلي من حماقات في حق المدنيين العزل في قطاع غزة. وطالب فضيلته في ختام بيانه الأمم المتحدة والقوى الدولية بالتدخل الفوري لوقف حرب الإبادة الشاملة التي تشنها الآلة العسكرية الإسرائيلية وفك الحصار عن قطاع غزة وتوفير الحرية الكاملة للشعب الفلسطيني حتى يتسنى للجميع العيش في سلام وأمان<sup>(٥)</sup>.

وعلى هامش زيارته ووزير الصحة المصري للمصابين الفلسطينيين بالمستشفيات المصرية، وجّه مفتي مصر رسالة إلى الحكومة الإسرائيلية أكد فيها أنهم يرتكبون أسوأ وأسود نقطة في تاريخ البشرية والإنسانية، معتبراً العدوان الإسرائيلي على غزة «هولوكوست» جديداً يفوق المذبحة النازية التي تعرضوا لها وقد أنكرتها البشرية. ووجه المفتي الشكر إلى الحكومة المصرية على ما قامت به من تلك المهمة التي جعلت الشعب المصري والفلسطيني وجهين لعملة واحدة<sup>(٦)</sup>.

وطالب المفتي خلال لقائه السفير الفرنسي بالقاهرة جان فيلكس، بوقف المذبحة البشعة التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني الأعزل، والتي وصفها بالمرحلة النازية التي أنكرتها ونددت بها البشرية كلها. وأضاف أن ما يحدث الآن في غزة هو تكرار لمثل هذه المجزرة، ولكن هذه المرة بالآلة العسكرية الإسرائيلية. وأشار إلى أن مصيبة غزة يجب ألا تنسينا المصيبة الأكبر وهي «الاحتلال».. مؤكداً أن جميع قرارات الأمم المتحدة تصف إسرائيل بأنها محتلة للأرض، وأن اتفاقيات جنيف تجيز لأصحاب الأرض المحتلة أن يكافحوا ضد المحتل. وأضاف أنه في مثل هذا الجو يجب شرعاً وعقلاً الاتفاق على مبدأ الوحدة وترك النزاع مهما يكن، فالوحدة هي سبيلنا الوحيد لصد هذا العدوان ورفع الطغيان ولا بد من الضغط على إسرائيل حتى تنتهي هذه المجزرة البشعة<sup>(٧)</sup>.

ولم يُنقل عن السفير الفرنسي أي تعليق على ما ساقه المفتي من آراء تتعلق بالوضع في غزة.

وأفتت دار الإفتاء بجواز إخراج أموال الزكاة للفلسطينيين، وجاء في الفتوى: «إن كل مَنْ وجد نفسه عاجزاً بنفسه عن دفع

هذه المصافحة لا تُسقط حقاً من الحقوق الشرعية للمسلم (وذلك في إشارة إلى المصافحة التي حدثت بين شيخ الأزهر والرئيس الإسرائيلي شيمون بيريز على هامش مؤتمر حوار الأديان بنيويورك الذي عقد في ١١ - ١٣ نوفمبر ٢٠٠٨)<sup>(٢)</sup>.

وكان شيخ الأزهر قد تعرض لانتقادات حادة داخل مصر وخارجها بسبب هذه المصافحة وتصريحه فيما بعد بأنه لا يعرف أن هناك حصاراً مفروضاً على غزة منذ يونيو ٢٠٠٧.

وأصدرت لجنة الحوار بين الأديان بالأزهر وأبروشية الكنيسة الأسقفية «الأنجليكانية» بمصر بياناً أدانت فيه العدوان الإسرائيلي على غزة، ودعا البيان المجتمع الدولي بأسره إلى أن يضع حداً لهذه الهجمات الشعواء التي أودت بحياة الكثيرين وتؤجج مشاعر العالم بأسره<sup>(٣)</sup>.

وبعد وقف إطلاق النار بين الطرفين الإسرائيلي وحركة حماس، كلٌّ من جانبه، بعث مجمع البحوث الإسلامية برسالة تأييد للرئيس المصري حسني مبارك لما وصفه بـ«الجهود المخلصة» و«المساعي المشكورة» التي قدمتها مصر والرئيس مبارك لوقف العدوان على غزة، جاء فيها «أن المجمع يقدر كل التقدير الجهود المخلصة والمساعي المشكورة التي بذلتها (الرئيس مبارك) من أجل وقف نزيف الدم في غزة ووضع حد للعدوان الهمجي البربري الذي قامت به إسرائيل. كما يقدر المبادرة المصرية التي قدمتها والجهود الموفقة التي بذلتها من أجل حشد الدعم الدولي للقضية الفلسطينية ممثلاً في مؤتمر شرم الشيخ مما أدى إلى وقف إطلاق النار».

وأعرب المجمع عن تأييده سياسة الرئيس مبارك في القمة الاقتصادية التي انعقدت في الكويت ١٩-٢٠ يناير ٢٠٠٩، حيث وصف المجمع خطاب الرئيس مبارك في القمة بالقوي الحكيم البليغ، وقال المجمع إن الخطاب «عبر عن روح أبناء مصر جميعاً». واتساقاً مع الخطاب السائد في الدوائر الرسمية ووسائل الإعلام الحكومية ذكر المجمع أن مصر هي التي «قدمت ما قدمت من شهداء ومن أموال على مرّ السنين من أجل الشعب الفلسطيني.. مصر التي تقف دائماً إلى جانب الحق حتى ينتصر، وتقف دائماً في وجه الباطل حتى يندحر»<sup>(٤)</sup>.

### دار الإفتاء

من جانبه ناشد مفتي الجمهورية العالم العربي والإسلامي التضامن مع الشعب الفلسطيني في المحنة التي يعيشها من جراء العدوان الوحشي الذي شنه جيش الاحتلال الإسرائيلي.. مطالباً الشرعية الدولية وجميع القوى المحبة للسلام في العالم بالتدخل الفوري لوقف العدوان الظالم على الشعب الفلسطيني في قطاع غزة وفك الحصار عنه، جاء ذلك في البيان الذي أصدره مفتي مصر في بداية العدوان يوم ٢٧/١٢/٢٠٠٨. وقال

معبر رفح، بحسب تعبيره. كما عبر عن استيائه مما وصفه بالمحاولات الرخيصة للنيل والتقليل من الدور المصري الفاعل، وأتينا كلنا -والكلام للدكتور الطيب- ثقة في الحكمة التي يتحلى بها الرئيس مبارك ومبادرته التي كان لها الأثر الإيجابي والفعال في وقف إطلاق النار.

وفي سياق متصل، بعث مجلس جامعة الأزهر ببرقية تأييد للرئيس مبارك شبيهة برسالة مجمع البحوث الإسلامية السابق للإشارة إليها<sup>(١١)</sup>.

وقرر مجلس جامعة الأزهر في اجتماعه ٢٨/١/٢٠٠٩ إعفاء طلاب فلسطين الذين يدرسون بجامعة الأزهر من المصروفات الدراسية مساندة لهم في مصابهم وتخفيفاً للعبء عليهم<sup>(١٢)</sup>.

#### وزارة الأوقاف

قررت وزارة الأوقاف عدم دعوة أي شخصية يهودية لمؤتمرها السنوي حتى يعم السلام بين إسرائيل وأبناء فلسطين، وقال وزير الأوقاف المصري الدكتور محمود حمدي زقزوق: إنه لن تتم دعوة أي من الشخصيات اليهودية في المؤتمر السنوي للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية - التابع لوزارة الأوقاف المصرية - لا في هذا المؤتمر ولا مستقبلاً حتى يعم السلام بين إسرائيل وأبناء فلسطين وتكون هناك دولة فلسطينية<sup>(١٣)</sup>.

وأكد الدكتور محمود حمدي زقزوق -وزير الأوقاف المصري- (عقب وقف إطلاق النار) أن مصر بقيادة الرئيس مبارك لم تقصر في واجبها تجاه القضية الفلسطينية، واستطاعت بفضل مواقفها المتزنة ومعالجتها الحكيمة لأزمة غزة أن تكون المحرك الرئيس والأكثر فاعلية في وقف المجزرة البشعة، وإجبار الجيش الإسرائيلي على الانسحاب.

ونوه الوزير بأن الدعاة وخطباء المساجد تحملوا مسؤوليتهم الكاملة في توعية الجماهير أثناء العدوان على غزة بضرورة تقديم الدعم المالي والطبي والغذائي وجميع المساعدات الإنسانية<sup>(١٤)</sup>.

#### ثانياً: المؤسسات الدينية في «محور الممانعة»

كانت الحركة أيسر -بطبيعة الحال- بالنسبة للمؤسسات الدينية الإسلامية في الدول التي اصطلح على تسميتها بـ«محور الممانعة»؛ ذلك أن الخطاب المتشدد الذي انتهجته دول هذا المحور، ساعد هذه المؤسسات ورموزها على التفاعل مع الحدث بحيوية وحماس، وكان تعبيرها تعبيراً صادقاً عن رغبات الشعوب ومتفقاً مع عواطفهم، ومثيراً لنوازعهم الدينية، إلى جانب أن الخطاب الديني لدى هذه المؤسسات اتسم بوضوح الرؤية وتصدير المبادئ بمعنى وضعها في صدارة الخطاب والاعتماد عليها بشكل كبير إلى جانب اتساع وشمول رقعة

المعتدي الصائل على الأرض والعرض من المسلمين فإنه مُطالب شرعاً ببذل ما يستطيع بماله عيناً أو نقداً لصدِّ العدوان وتسليّة المعتدى عليهم من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان، إما على سبيل الوجوب العيني وإما على سبيل الندب والاستحباب. وذلك بحسب حصول الكفاية في دفع العدو الصائل، فيتَّعَيَّن ذلك على أهل البلد أولاً، فإن لم تحصل بهم الكفاية والمنعة تعيَّن على من يليهم ويبعد عنهم مسافة القصر أن يساعدهم بما يستطيع حتى تحصل الكفاية. وزكاة المال يُشرع دفعها لأبناء الشعب الفلسطيني في غزّة من سَهْم: في سبيل الله؛ لأنّ دَفْع العدو في حقهم مُتَعَيَّنٌ عليهم من باب جهاد الدَّفْع، وكلُّ ما يُعيَّنهم على البقاء ومقاتلة العدو وصدِّ العدوان هو من جُملة آلات الجهاد، سواء أكان مالا أم طعاماً أم دواءً، وليست آلة الجهاد مُنحصرة في السِّلَاح فقط، بل هي شاملة لما ذُكر أيضاً. وقد قرَّر الفقهاء أنه يُشرع دفع الزكاة للمجاهد في سبيل الله وإن كان غنياً. وعليه فأبناء الأرض المحتلة الآن لهم أولوية في الجملة في استحقاق أموال الزكاة؛ نظراً لشدة ظروفهم وحاجتهم المنعينة إلى الغوث لا سيّما في قطاع غزّة<sup>(٨)</sup>.

كما طالب المفتي أيضاً الدول العربية والإسلامية المنتجة للنفط بإخراج زكاة نفطهم باعتبارها «فرضاً»، وتدخّل في باب «جهاد الدَّفْع» لمساعدة المسلمين في أرض المعركة على الصمود أمام العدو<sup>(٩)</sup>.

#### جامعة الأزهر

نظمت جامعة الأزهر وقفة تضامنية مع الشعب الفلسطيني مع بداية العدوان الإسرائيلي، حضرها الدكتور أحمد الطيب -رئيس الجامعة- وقياداتها. ووصف رئيس الجامعة العدوان الإسرائيلي بأنه عمل إجرامي بشع واستخدام مفرط للقوة، واعتبره نوعاً من العقاب الجماعي، ولم يُفُتّه تأكيد أن مصر تسعى دائماً لتحقيق التهدئة ولا تتخلى عن دورها في مساندة إخواننا في فلسطين. وقال: لا نريد مزايدات من أحد، موضحاً أن مصر ستظل هي القوة المدافعة عن إخواننا في فلسطين. وناشد -باسم جامعة الأزهر- المجتمع المدني الضغط على إسرائيل لوقف عملياتها الوحشية ضد الشعب الفلسطيني الأعرل. وقال إن مصر تمد الفلسطينيين بكل المعونات الإنسانية اللازمة، ولم تخرج كلمات قيادات جامعة الأزهر أو اتحاد طلابها عن مضمون تصريحات رئيس الجامعة<sup>(١٠)</sup>.

وفي افتتاح الموسم الثقافي بجامعة الأزهر (عقب وقف إطلاق النار) وصف الدكتور أحمد الطيب -رئيس الجامعة- الاعتداءات الإسرائيلية على قطاع غزة بأنها تعد جريمة حرب. مضيفاً أن «صوت مصر كان هو الصوت العاقل». وانتقد الذين اختزلوا القضية الفلسطينية في المعابر واختزلوا المعابر كلها في

## انعكس انتساب الأزهر إلى دولة

### تنتهي لمحور «الاعتدال» على خطابه

### وغاب عنه دعم «خيار المقاومة»

الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان برئاسة نائب الرئيس الشيخ عبد الأمير قبلان -على سبيل المثال- أدان بشدة الحصار الجائر الذي تفرضه قوات الاحتلال الصهيوني على غزة، وشجب الصمت الدولي والعربي إزاء جرائم إسرائيل وانتهاكها للقرارات والمواثيق والأعراف الدولية بحق المدنيين. ودعا المجلس جامعة الدول العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي إلى العمل على فك الحصار عن الشعب الفلسطيني وحث المنظمات الدولية والإنسانية على القيام بواجباتها على هذا الصعيد<sup>(١٧)</sup>.

وألقى آية الله السيد محمد حسين فضل الله خطبة سياسية يوم الجمعة ٢٦/١٢/٢٠٠٨ قبيل بدء العدوان على قطاع غزة جاء فيها: «ينشط الكيان الصهيوني في هذه الأيام لتهيئة الأجواء الإعلامية والسياسية الدولية للقيام بعدوان جديد على قطاع غزة، وهو يستنفر قواه الدبلوماسية لإيجاد تغطية دولية وعربية للمجازر التي باشر القيام بها في الجولة الثانية، بعد انتهاء التهدة، والتي سقط في خلالها ٤٣ شهيداً من الشعب الفلسطيني، من دون أن يحرك العالم ساكناً».

وأضاف: «وسط حركة صهيونية أمنية وعسكرية متواصلة في داخل فلسطين المحتلة، ودبلوماسية إسرائيلية نشطة حتى على بعض المحاور العربية التي باتت تشعر بالإحراج حيال ما يجري في غزة من حصار تشارك فيه بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، يستعد العدو لتنفيذ مجازر جديدة، إلى جانب حصاره التجويعي المتواصل، وهو يراهن على استمرار التواطؤ العربي المشفوع بضغط سياسي متواصلة على الفلسطينيين وفصائلهم المقاومة».

وانتقل إلى الحديث عن «الانتخابات الصهيونية»، وأنها قد تفتح شهية المسؤولين الإسرائيليين أكثر لقتل المزيد من الفلسطينيين؛ لأن الدم الفلسطيني يجذب المزيد من الأصوات للشخصيات السياسية الصهيونية الطامحة. وقال: نعرف أيضاً أن صمود الشعب الفلسطيني وقدرته على التعامل مع أشنع أنواع الحصار والعقاب الجماعي وأفظع عمليات القتل والمجازر، سيمثلان فضيحة أخرى للواقع العربي الرسمي وللأنظمة المتواطئة مع العدو، أو لتلك الحائزة على وسام «الاعتدال الأميركي» بجدارة واستحقاق. ونذكر -في الوقت عينه- أن غزة المقاومة والأبية، بشعبها الجريح والمقاوم، لن تكون لقمة سائغة في فم العدو الذي لا يزال يتخوف من التجربة اللبنانية (حرب تموز - يوليو ٢٠٠٦، التي انتصر فيها حزب الله

الخطاب وتناوله للعديد من القضايا وتركيبها مع بعضها لبيان التخطيط والتدبير الذي تدبره القوى الكبرى للقضاء على حقوق الشعب الفلسطيني.

ففي إيران -على سبيل المثال- أصدر آية الله حسين نوري همداني -أحد كبار مراجع الدين في إيران- بياناً أدان فيه الهجوم الوحشي الذي يشنه جيش الكيان الصهيوني ضد الفلسطينيين الأبرياء في قطاع غزة، وجاء في البيان قوله: نعلم جيداً أن هذه الجرائم يتم تنفيذها بمشاركة قوى استكبارية، وخاصة الولايات المتحدة والمنظمة الأممية (الأمم المتحدة) وبعض الدول العربية المساومة.

وأصدر المرجع الديني الكبير الشيخ مكارم شيرازي في مدينة قم المقدسة بياناً أدان فيه الجرائم الصهيونية في قطاع غزة، وجاء في جانب من بيانه: بعد أشهر من الحصار ارتكب الصهاينة في قطاع غزة فاجعة عظيمة ومجزرة عامة لا نظير لها في العالم ميت القلوب، واهتز لها كل ضمير حي في العالم باستثناء حماة الصهاينة ومن لف لفهم<sup>(١٥)</sup>.

وحتى بعد وقف إطلاق النار، دعا مراجع الدين في إيران، المسلمين إلى وحدة الكلمة ومناصرة الفلسطينيين في قطاع غزة ومقاطعة السلع والمنتجات الإسرائيلية، كما حثوا صمود أهل غزة، واعتبروه تجسيداً حقيقياً للمعنى الإيمان والواجب الإسلامي.

وقال المرجع الديني آية الله كاظم موسوي أردبيلي إن «المقاومة التي أظهرها أهل غزة أذهلت العالم أجمع، حيث كانت صموداً عظيماً لإعلاء كلمة الله والدفاع عن الحق والحقيقة، وتجسيداً صادقاً للمعنى الحقيقي للإيمان والواجب الإسلامي».

وقال المرجع الديني آية الله ناصر مكارم شيرازي: إن على المسلمين اليوم تجنب شراء السلع والمنتجات الإسرائيلية حتى لا تتحول أموالهم إلى قنابل وصواريخ تسقط على رؤوس إخوانهم الفلسطينيين المسلمين. واعتبر أن تطبيق المسلمين بتعدادهم السكاني الهائل لنواهي القرآن الكريم بعدم التعاون على الإثم والعدوان سيذهب ربح (قوة) الكيان الغاصب المتجبر والمجرم، محذراً المسلمين من تقوية العدو بأيديهم.

وقال آية الله جعفر سبحاني -أحد أبرز علماء الدين وأساتذة الحوزة العلمية في مدينة قم: إن المرجعية الدينية وعلماء الدين وعموم الشعب في إيران يباركون للمجاهدين المناضلين في غزة هذه المقاومة البطولية<sup>(١٦)</sup>.

ومن قبل بدء العدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، والخطاب الديني في هذه الدول -لاسيما الشيعي منه- يشدد على إدانة الحصار المفروض على القطاع ومهاجمة الدول الكبرى وأيضاً الدول العربية فيما يسمى بـ«محور الاعتدال»، فالمجلس

ورأى آية الله السيد محمد حسين فضل الله أن المجازر التي ترتكبها إسرائيل في هذا الوقت في غزة تمت الموافقة عليها من أعلى المستويات الدولية، لهدف سَوِّق الشعب الفلسطيني إلى الاستسلام عبر مفاوضات لاحقة يراد لها إنهاء القضية بالكامل، وخصوصاً بعد التصريح الإسرائيلي العلني بأن الهجوم على غزة يهدف إلى تصفية الفصائل الفلسطينية المقاومة.. مؤكداً أن هذه المجازر -بالرغم من بشاعتها- لن تنال من قدرة الشعب الفلسطيني على الصمود والنهوض لمواجهة المرحلة المقبلة بعزيمة وثبات، لمنع إسرائيل والمحاور الدولية التي تقف وراءها، ولا سيما إدارة المحافظين الجدد، من تحقيق أهدافها التي ترمى إلى إرغام هذا الشعب على الخضوع للتسوية التي يجري العمل لها من خلال سفك دماء مئات الفلسطينيين<sup>(٢٠)</sup>.

وشدّد فضل الله في مناسبة أخرى أثناء الحرب على «أن الشيعة والسنة يمثلان أسرة واحدة في العالم الإسلامي، وأن ما يجري أكد ذلك من خلال الاصطفاف الشعبي خلف المشروع المقاوم الذي يمثل مشروع العزة في الأمة بعيداً من كل العناوين المذهبية والتلاوين الطائفية، ورفضهم المشروع المضاد الذي يعنى السير في خط الاستسلام والخضوع للأعداء».. مشيراً إلى «أن الفرز على مستوى الأمة بات بين مشروعين لا بين مذهبين، كما كان الأعداء يخطون، وأن ذلك يصب في خدمة القضية الكبرى ويكشف تخاذل المتخاذلين، بصرف النظر عن الشعارات السياسية، التي يحاولون الاختفاء خلفها»<sup>(٢١)</sup>.

وعلق نائب رئيس المجلس الإسلامي الشيعي الأعلى في لبنان الشيخ عبد الأمير قبلان في بيان له على مجازر إسرائيل في قطاع غزة، فقال: «مرة جديدة تكشف إسرائيل عن وجهها الوحشي فتقدم إلى الفلسطينيين هدايا القتل المجاني في أيام الأعياد المجيدة، فتحول فرحة الأعياد إلى مأساة إنسانية تُدخل السواد والحزن إلى كل بيت فلسطيني لتجعل من قطاع غزة منطقة منكوبة تستبيح حرمة المدنيين باستخدامها أحدث آلات القتل، في ظل صمت دولي مريب يجعل من مؤسسات المجتمع الدولي شيطاناً أحرص بسكوته عن الإجماع الصهيوني».

وناشد الشيخ قبلان الشعوب العربية والإسلامية وأصحاب الضمائر الحية «التحرك الجاد والحازم لردع إسرائيل عن المضي في ارتكاب المجازر بحق الفلسطينيين الذين جعلت من وطنهم أرضاً محروقة تحصد فيها الأبرياء في عمل إجرامي لا يمت إلى الإنسانية بصلة».

وحمل «الدول والأنظمة الإسلامية ومؤسسات المجتمع الدولي مسؤولية ما يجري في غزة من مجازر تعيد إلى الأذهان صورة الإرهاب النازي الذي فاقه الصهاينة وحشية من خلال جرائمهم ومجازرهم التي تزيد من رصيد الصهاينة في الإرهاب».

على الجيش الإسرائيلي) وانعكاسها داخل فلسطين المحتلة. والذي يأخذ في الاعتبار ما يجري داخل الساحة العربية، فهو في حيرة من أمره؛ إذ إنه يعاني مأزق الإقدام والإحجام الذي يدفعه إلى تحريك الآلة العسكرية، والطلب من هذا الفريق العربي أو ذاك التوسط لتجديد التهدة».

وتابع: «إننا نقول للعرب -وخصوصاً أولئك الذين يتبرعون بتقديم المواعظ للشعب الفلسطيني من داخل الجامعة وخارجها-: صحيح أن الانقسام الفلسطيني يمثل تهديداً للقضية ونضال الشعب الفلسطيني في سبيلها، إلا أن الانقسام الفلسطيني يمثل وجهاً من وجوه الانقسام العربي. كما أن التواطؤ العربي كان ولا يزال سبباً رئيسياً من أسباب الضياع والضعف الذي أصيبت به القضية. وبالتالي فعلى العرب أن يتحملوا مسؤولياتهم بدلا من أن يلقوا باللائمة على الفلسطينيين، وأن يقتربوا أكثر من القضية قبل أن تقترب النار من عروشهم ومواقعهم».

وهاجم فضل الله الولايات المتحدة، وقال إن وزيرة الخارجية الأميركية (كونداليزا رايس) تعلم علم اليقين أن المخاض الجديد للشرق الأوسط لم يكن بفعل إدارتها وخطتها، فهو انطلق وفق توجهات وحركة الشعوب والقوى الحية التي أذقت إدارة المحافظين الجدد طعم الهزيمة المرة في لبنان، عندما هزمت إسرائيل في تموز (يوليو) ٢٠٠٦، كما في بقية المواقع العربية والإسلامية. وتابع هجومه على «رايس» وانتقد محاولتها فرض رؤية معينة على الرئيس الجديد «أوباما». وبدا مقتنعاً بانفتاح أوباما على القضايا العربية والإسلامية وبما تعهّد به خلال حملته الانتخابية، وإن أشار إلى أن تصورات المسؤولين الأمريكيين لقضايا المنطقة تظل خاضعة للرؤية الإسرائيلية التي تتكون بفعل علاقتهم باللوبي اليهودي والدوائر المؤثرة في القرار الأمريكي، وهي التي تنظر إلى المنطقة بعيون إسرائيلية<sup>(١٨)</sup>.

وفور بدء العدوان أصدر تجمع العلماء في جبل عامل - التابع لحزب الله - بياناً تعليقاً على مجازر غزة، أدان فيه الحرب الأمريكية الإسرائيلية بمعاونة بعض الدول العربية التي تجري على غزة، والتي أودت بحياة العشرات من أبناء غزة من نساء وأطفال وشيوخ دون أي رادع أو رحمة وشفقة، وقال التجمع: إن ما يجري اليوم هو عمل لتصفية القضية الفلسطينية بمساعدة دول عربية».

ودعا التجمع الشعوب العربية والإسلامية إلى كسر حاجز الصمت، وإلى وقفة عز وإباء في وجه حكاهم والأنظمة المتعاملة مع العدو الصهيوني، وبالأخص الشعب المصري العزيز الذي قدم الشهداء وقاوم هذا الاحتلال، وإلى تحمّل مسؤولياتهم القومية والإسلامية والوقوف إلى جانب أهلهم في غزة عبر فتح الحدود وتقديم الدعم لإخوانهم المظلومين في غزة<sup>(١٩)</sup>.

## جاء بيان رئاسة الشؤون الدينية في تركيا متسقاً مع الخطاب الرسمي التركي ومتفاعلاً معه

الصهيوني»، معرباً عن أملة في أن «يقام احتفال انتصار حركة حماس في بيت المقدس»<sup>(٢٤)</sup>.

ورأى رئيس جبهة العمل الإسلامي في لبنان الداعية (السُّنِّيَّة) فتحي يكن أن غزة تواجه اليوم مصيرها من غير أي غطاء سياسي عربي رسمي، ودون أي تدخل ميداني يخلل عنها بعضاً مما تعانيه من ضراوة الهجمة الدموية الهيستيرية، التي تستغل كل ما لديها من سلاح محرم، مستهينة بكل القوانين والأعراف والمعايير والقرارات الدولية.

وأضاف: غزة وحدها في الميدان تسطر ملحمة الصمود والشهادة بكل ما أوتيت من قوة إيمان وبما توافر لها من سلاح، بالرغم من اختلال موازين القوى العسكرية بينها وبين إسرائيل. واعتبر أنه لا بد من جبهات ميدانية تتحرك من أكثر من جهة لدعم صمود غزة البطلة، وللمحافظة على المكتسبات التاريخية التي تحققت في تموز (يوليو) ٢٠٠٦، معتبراً أن انهزام غزة لا قدر الله هو انهزام لجبهات المعارضة وللخط المقاوم في لبنان وسوريا وإيران وعلى امتداد العالم<sup>(٢٥)</sup>.

### ثالثاً: رئاسة الشؤون الدينية في تركيا

واتساقاً مع الموقف الرسمي في تركيا من العدوان على غزة، وفي ظل الدور المحوري الذي لعبته تركيا على مختلف الأصعدة، والموقف المتشدد الذي أبدته في تعاملها مع إسرائيل، والمجال الواسع الذي تحركت فيه، أصدرت رئاسة الشؤون الدينية التابعة لرئاسة شؤون الوزراء في تركيا بياناً في ٢٩/١٢/٢٠٠٨ عقب بدء العدوان، استدعت فيه التاريخ وعبره، حيث ذُكر البيان الإسرائيلي بأنهم القوم الذين قد عانوا في التاريخ، في مختلف ميادينهم الظلم والعنف والعنصرية، والذي عانى في تاريخه معاناة شديدة من قِبَل الذين لجأوا إلى مشاهد ومظاهر دينية للعنف والعنصرية ضد هذا القوم، ولفت البيان إلى أنهم -الإسرائيليون- يستخدمون الأساليب الدينية نفسها؛ حيث يقول: فهم القوم الذين استطاعوا اليوم أن يصلوا بأيديهم إلى مظاهر القوة، أو استطاعوا الحصول على تأييد رسمي من قِبَل جهات القوة في العالم، فلم يترددوا اليوم أن يسببوا المعاناة نفسها للآخرين، فيشاهدكم العالم أجمع بما يفعلون بتحقير واستنكار.

وذكر البيان أن العنف يولد الإحساس بالكرهية والانتقام، وضرب على ذلك مثلاً بما حدث في منطقة الشرق الأوسط، فقال: إننا قد شاهدنا خلال القرن الماضي في الشرق الأوسط

ورأى أن «مجازر غزة لا تستهدف أبناء غزة وحدهم بل كل العرب والمسلمين والشعوب الحرة، وعلى العالم بأسره أن يدين إجرام إسرائيل، فتبادر منظمة المؤتمر الإسلامي وجامعة الدول العربية ومجلس الأمن لعقد جلسات طارئة توقف مسلسل الدم المراق في فلسطين».

وناشد الشيخ قبلان الفلسطينيين «توحيد صفوفهم ونبذ الخلافات والوقوف في خندق المواجهة ضد العدوان الإسرائيلي والاتعاظ مما يجري؛ لأنه لا يصيب حماس وحدها بل كل الفلسطينيين على اختلاف توجهاتهم السياسية، وعلى الفلسطينيين تصويب البندقية الفلسطينية باتجاه عدو فلسطين والإنسانية المتمثل بالكيان الصهيوني»<sup>(٢٦)</sup>.

وأقام المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية مجلس تأسيسي لشهداء غزة في مسجد أرك في وسط العاصمة الإيرانية طهران، حضرها الشيخ محمد علي التسخيري -الأمين العام للمجمع- وجمّع من العلماء والقادة السياسيين وجمع غفير من أئمة جماعة السنة في محافظة كردستان<sup>(٢٧)</sup>.

وانتقد إمام جمعة طهران المؤقت آية الله أحمد جنتي بشدة ما وصفه بـ«العراقيل التي يضعها قادة السعودية ومصر» إزاء عقد القمة العربية الطارئة لحل أزمة غزة، ووصف قرار مجلس الأمن الدولي بشأن أزمة غزة بأنه «هزيل»، وقال: «لا يمكننا أن نسمي من تبناوا هذا القرار والصامتين حيال الجرائم الوحشية الإسرائيلية بأنهم بشر».

وتحدث جنتي في خطبتي صلاة الجمعة ١٦/١/٢٠٠٩ في طهران عن الأوضاع المتأزمة في غزة. وإذ أشاد بطريقة عمل الحكومة ومجلس الشورى الإسلامي في إيران في هذه الأزمة والمظاهرات الشعبية في الجمهورية الإسلامية المؤيدة لسكان غزة المظلومين، فقد أشاد أيضاً بقيام «فنزويلا بطرد سفير الكيان الصهيوني من أراضيها»، مندداً «بحكومات الدول العربية التي لم تقطع حتى الآن علاقاتها مع الكيان الصهيوني».

وخاطب زعماء الدول العربية قائلاً: «لماذا أنتم خائفون من أمريكا؟ أنتم لا تملكون الشجاعة ولا الرجولة ولا الدعم الجماهيري، لذا من الطبيعي أنكم تخافون». واعتبر أن «حكام مصر والسعودية يمثلون أسوأ الحكام العرب»، موضحاً أن «السعودية تقمع الاحتجاجات الشعبية ولا تسمح لأحد بإبداء رأيه»، قائلاً: «إنهم يخشون ذلك اليوم الذي تطال فيه الاحتجاجات الشعبية والغضب الجماهيري نظامهم وتؤدي إلى تقويض حكمهم».

وأشار إلى الأوضاع في أميركا وموقف الرئيس الأميركي المنتخب باراك أوباما من العدوان الصهيوني الوحشي على غزة، مؤكداً أن «أوباما أحد حماة الكيان

وكان أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني قد التقى في ٢٠٠٩/١/٣ الشيخ القرضاوي والوفد المرافق له، و«بارك» مسعاه، بحسب تصريحات الشيخ القرضاوي، وقام بتخصيص طائرة أميرية للوفد لتسهيل انتقالاته.

وأنتهى وفد الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين جولته دون أن يتمكن من لقاء الرئيس المصري، حسني مبارك، كما كان يأمل. وقال الشيخ القرضاوي، رئيس الوفد، في مؤتمر صحفي بالعاصمة القطرية الدوحة: «خططنا لزيارة مصر كإحدى المحطات الرئيسية في جولتنا، وطلبنا من السفير المصري في الدوحة أن يحدد لنا لقاء مع الرئيس حسني مبارك، وأمين عام جامعة الدول العربية، عمرو موسى، خلال هذا الأسبوع. غير أن وقتها لم يتوافق مع توقيت جولة الوفد». وتابع موضحاً أن: «ظروف الرئيس مبارك لم تكن مواتية لاستقبال الوفد.. أما عمرو موسى فسافر إلى نيويورك لحضور جلسات مجلس الأمن الدولي حول ما يحدث في غزة».

وكشف رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين عن طلبات محددة تقدم بها الوفد للقادة الذين التقاهم، تتركز في «وقف العدوان الإسرائيلي على غزة، وعودة القوات الإسرائيلية إلى ما كانت عليه قبل العدوان، والضغط على إسرائيل لفتح الحصار، والتوسط لدى مصر لفتح معبر رفح، والضغط على إسرائيل لفتح باقي المعابر، إضافة إلى الإبقاء على خيار المقاومة الفلسطينية كسلاح فعال ضد الاحتلال».

وخلال هذه الجولة، وجه الشيخ القرضاوي نداءً إلى أبناء الأمة الإسلامية يدعوهم فيه إلى جعل يوم الجمعة ٢٠٠٩/١/٩ يوماً عالمياً لنصرة غزة<sup>(٢٨)</sup>، قائلاً: «أنادي الأمة أن تجعل يوم الجمعة.. يوماً عالمياً لنصرة غزة، والغضب من أجل غزة في مواجهة العدوان الإسرائيلي»<sup>(٢٩)</sup>.

#### مجمع الفقه الإسلامي

من جانبه أصدر الدكتور عبد السلام العبادي الأمين العام لمجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي بياناً عقب بدء العدوان في ٢٩/١٢/٢٠٠٨، أكد فيه ما وصفه بالأحكام الشرعية التالية:

أولاً: وجوب النصرة الكاملة للشعب الفلسطيني بكل الوسائل المتاحة، فيجب على المسلمين جميعاً تقديم كل ما يمكن تقديمه من صور النصرة وفق الاستطاعة، وهذا الواجب يقع على المسلمين حيثما كانوا؛ لأنهم أمة واحدة تجمعهم عقيدة التوحيد.

ثانياً: ضرورة العمل على تحرير الأراضي المحتلة ورفع العدوان عن المسلمين بكل الصور الممكنة، لذا فإن قضيتنا مع العدو هي استمرار احتلاله للأراضي الفلسطينية، ومن هنا

وفي العالم الإسلامي، الذي يعتبر موقعاً إستراتيجياً من قبيل الدول المتطورة، تدخلات واحتلالات وعنفاً وانتهاكات للحقوق؛ وعندما اندمجت تلك الأحداث في هذه المنطقة بالعناصر الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية وعوامل أخرى، قد أدت في الواقع إلى تأصيل الإحساس بالكرهية والحقن والانتقام والعداوة لدى النفوس البشرية بهذه المنطقة، فبالتالي يلاحظ الرأي العام العالمي كيف كان كل ذلك سبباً للفساد بالحياة الاجتماعية والعقل السليم في تلك المجتمعات.

وأشار البيان إلى أن هذه الأحداث التي جرت أمام أعين العالم والتي يُعرّف الهدف منها، قد استطاع البعض أن يقدمها كحادثة تعبر عن «التصادم بين الأديان والحضارات»، فأرادوا بها أن يُخفّوا القتل الحقيقيين للسلام العالمي حتى تتحقق إستراتيجيتهم التي تهدف إلى الاصطدام الشنيع في نطاق أوسع، وعلينا أن نؤيد مرة أخرى بأننا إذا رأينا هذه الحادثة حرباً بين الأديان والحضارات، أو حتى لو وصفناها حرباً فقط، فإن ذلك سيؤدى بنا إلى الإنكار للواقع والحقيقة؛ فإن هذه الأحداث وأمثالها ليست إلا مشاهد ومظاهر دنيئة للعنف التي تعتبرها الأديان جميعاً على أنها عمل غير أخلاقي.

وتماهى البيان في كثير من فقراته مع الخطاب التركي الرسمي واستخدم تقريباً المفردات التي استخدمتها نفسها، حيث ركز على الجوانب الإنسانية في الخطاب، فوصف العدوان بالجريمة بحسب تعاليم الأديان السماوية والقيم الإنسانية والحقوق الدولية، وخصوصاً فيما يتعلق بالمعاهدات الدولية، وأنه قد أدى إلى الإحساس بالخلج باسم الإنسانية عند كل من له العقل السليم والضمير الحيّ مهما كان انتماءه الديني أو العقائدي<sup>(٢٦)</sup>.

#### رابعاً: المؤسسات الدينية غير الرسمية

##### الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين

أجرى وفد من الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين برئاسة الشيخ يوسف القرضاوي جولة على بعض الدول العربية وتركيا التقى خلالها العاهل السعودي الملك عبد الله بن عبد العزيز، والرئيس السوري بشار الأسد، والعاهل الأردني الملك عبد الله الثاني، واختتمت الجولة بزيارة تركيا، حيث التقى رئيسها عبد الله جول ورئيس وزرائه رجب طيب أردوغان. وهدفت الجولة إلى بحث الأوضاع في قطاع غزة وسبل نصرته، والعمل على رفع الحصار عن القطاع، والسعي لوقف العدوان الإسرائيلي عليه، وتيسير دخول المعونات الإنسانية إلى القطاع، مع تأييد الدعوة القطرية لعقد قمة عربية لبحث الأزمة في غزة. وشدد القرضاوي على أن الوفد لا يمثل أي حركة فلسطينية، وقال: «نحن على مسافة واحدة من الجميع، سواء الدول العربية والإسلامية، أو الفصائل الفلسطينية»<sup>(٢٧)</sup>.

## كانت جولة وفد علماء الاتحاد

### خطوة إيجابية منه في الالتقاء بقيادة

### الدول والتواصل بين الساسة والعلماء

مظاهر الجرائم الإسرائيلية، مثل «استخدام مختلف أنواع الأسلحة المدمرة»، و«تعمد قتل المدنيين في صورة إبادة جماعية من خلال القصف العشوائي الذي استهدف البيوت بساكنيها، والمساجد بالمصلين فيها»، واستهداف المقار التابعة للأمم المتحدة، و«ضرب المستشفيات، واستخدام الأسلحة المحرمة دولياً مثل القنابل الفسفورية البيضاء الحارقة». وطالب البيان القادة العرب الذين يجتمعون في الكويت بـ«إيقاف مسيرة السلام، وسحب المبادرة العربية، وعدم البقاء في أسر السلام خياراً إستراتيجياً» مع إسرائيل، وكسر الحصار المفروض على قطاع غزة، وفتح معبر رفح «بشكل دائم ودون تأخير أو تعليق».

كما نادى بالاعتراف بشرعية المقاومة «المقررة إسلامياً، والثابتة قانونياً، مع دعمها معنوياً ومادياً». وطالب القادة العرب بـ«الإدانة الرسمية لموقف أمريكا المؤيد والداعم للكيان المحتل، واستدعاء السفراء للتشاور وإعادة النظر في العلاقات» مع الولايات المتحدة.

ومن أبرز الموقعين على هذا البيان الشيخ يوسف القرضاوي رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، والدكتور عجيل النشمي رئيس رابطة علماء الخليج، وأمير الجماعة الإسلامية بباكستان قاضي حسين أحمد، والناشط الإسلامي السعودي محسن العواجي (٣٢).

#### السلفيون

تباينت وسائل التعبير عن غضبة أصحاب المنهج السلفي، فقد لوحظ تنوع واضح -إن لم يكن تبايناً واضحاً- بين ردود الفعل السلفية التي اختلفت من بلد عربي لآخر، مما عكس تعددًا في المدارس السلفية بالعالم العربي، وربما تعددًا داخل المدرسة الواحدة، لكنه تعدد ظل وُقفاً على الوسائل والآليات ولم يتخطها إلى بنية الخطاب السلفي. فلم يتجاوز السلفيون وسائلهم المعروفة في الدعوة والتعبير عن مواقفهم كالمحاضرات والخطب في المساجد، فضلا عن المقالات التي كتبها كبار شيوخهم ونشرتها مواقع إلكترونية قريبة منهم، إلى جانب بعض المطويات والملصقات.

ففي مقاله «الهجوم على غزة» هاجم الشيخ سعيد عبد العظيم المبررين للعدوان، معتبراً أنه: «لا يتعاون مع الكفرة الفجرة على إبادة المسلمين وحصارهم وإضعافهم إلا من كان على شاكلتهم ممن أسلم قياده لشياطين الإنس والجن، وباع

يجب ألا تنسينا اعتداءاته ومجازره البشعة أن هذه هي قضيتنا معه فلا بد من العمل على تمكين الشعب الفلسطيني من إقامة دولته المستقلة على ترابه الوطني وعاصمتها القدس الشريف، والذي يعني في أبسط ما يعنيه تحرير أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ومسرى الرسول صلى الله عليه وسلم ومعرجه إلى السموات العلى.

ثالثاً: من الواجب على حكومات البلاد الإسلامية بذل كل جهد ممكن من خلال المنظمات الدولية، والعلاقات السياسية والاقتصادية وغيرها، لوقف هذا العدوان فوراً، ووقف الدعم الخارجي الذي يتلقاه العدو سياسياً واقتصادياً وعسكرياً، وتلمس كل طريق ممكن لمحاسبة المعتدين على جرائم الحرب والإبادة التي مارسوها بكل صلف وغرور.

رابعاً: إن من حق الشعب الفلسطيني أن يقاوم الاحتلال وأن يدافع عن نفسه بكل الوسائل المشروعة، وشرف للمسلم وغنيمته له أن يموت في سبيل الله دفاعاً عن نفسه ودينه ووطنه وعرضه وماله.

وأمام هذه الظروف العصيبة تؤكد أمانة المجمع أن الواجب الشرعي يحتم على القادة الفلسطينيين نبذ الخلافات وتوحيد الصف والكلمة وترسيخ معاني الوحدة الوطنية: والوفاء بالعهد التي تمت في أكثر من مكان من بلاد العرب والمسلمين، وبخاصة ما تم في رحاب مكة المكرمة برعاية خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز آل سعود.

ودعا المجمع في ختام بيانه الأول إلى سرعة عقد مؤتمر قمة على المستويين العربي والإسلامي، تحقيقاً لواجب النصرة والدعم والمساندة للشعب الفلسطيني، وحرصاً على اتخاذ كل ما يمكن لوقف هذا العدوان الغاشم (٣٠).

- ثم أصدر أمين عام المجمع بياناً آخر في ٦/١/٢٠٠٩ أكد فيه ذات المعاني التي ركز عليها في بيانه الأول، ودعا إلى كشف تغرير إسرائيل بالمجتمع الدولي.. ووضع الخطط الكفيلة بذلك (٣١).

- وعشية انعقاد القمة الاقتصادية العربية بالكويت في ١٩ و ٢٠ يناير ٢٠٠٩ أصدر ٩٦ عالماً وشخصية إسلامية بياناً طالبوا فيه القادة العرب بسحب المبادرة العربية للسلام مع إسرائيل، والاعتراف بشرعية المقاومة الفلسطينية، ودعمها بالمال والسلاح، ووقف «جميع أشكال التطبيع العربي» مع إسرائيل. واتهم البيان إسرائيل بارتكاب جرائم حرب خلال عدوانها الحالي على قطاع غزة، ووصف إسرائيل بالعنصرية. وقال البيان: «استخدم المجرمون اليهود المعتصبون آلة الحرب المدمرة بشكل يكشف للعالم كله حقيقة هذا الكيان العنصري الإجرامي، ويبدد جميع الأوهام الكاذبة بادعاء ديمقراطيته أو إنسانيته أو شرعيته، وعدد البيان



اعتبروا فيه أن ما يحدث بغزة «لا يجوز للمسلمين السكوت عنه وخذلان إخوانهم»، معتبرين أنه لا يكفي في النصر مجرد الشجب والاستنكار، بل «لابد من أفعال تبرهن على صدق المناصرة، ومن ذلك: فتح الحكومة المصرية لمعبر رفح بصفة دائمة»، معتبرين أن إغلاقه سيكون من الخذلان وتحقيقاً لأهداف العدو.

وكان من بين الموقعين: الشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، والشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي، ود. عبد الله بن حمود التويجري، ود. عبد الله الدويش، وفيصل بن عبد الله الفوزان، ود. محمد بن سعيد القحطاني، وسليمان بن عبد الله الماجد، وهم جميعاً قضاة ومفكرون ودعاة وأكاديميون ينتمون إلى التيار السلفي، إلى جانب انفتاحهم على المكونات الدعوية والفكرية الإسلامية الأخرى في المملكة، من إخوان ومستقلين.

بجانب ذلك برزت أنشطة أخرى قام بها دعاة سلفيون، أبرزهم الشيخ سلمان العودة -المشرف العام على مؤسسة «الإسلام اليوم»- الذي تنوعت الأنشطة التي تفاعل بها مع الأحداث، فألى جانب البيانات شارك العودة في عدد من اللقاءات المتلفزة تناول عبرها القضية وواجب المسلمين تجاهها، فضلاً عن مبادرته مع الشيخ يوسف القرضاوي من خلال «الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين» للقيام بجولة تشمل عدداً من الدول العربية الرئيسة لوقف العدوان ورفع الحصار.

وذهب النواب السلفيون في البرلمان الكويتي أبعد من ذلك حين تقدموا بمشروع قانون يحظر كل أشكال التعامل مع «العدو الصهيوني»، كما يحظر على جميع الجهات الحكومية والخاصة، والأفراد والأشخاص الطبيعيين والاعتباريين عقد أي اتفاقيات أو بروتوكولات أو لقاءات، أيًا كانت طبيعتها مع الكيان الصهيوني. كما طالب الأمين السابق للحركة السلفية الشيخ حامد العلي بفتح مكتب سياسي لحركة المقاومة الإسلامية في الكويت على الفور ودون مقدمات، جاء ذلك ضمن عدد من الأنشطة التي تتوافق مع الأوضاع السائدة في الكويت كبلد يحظى فيه السلفيون بوجود سياسي معترف به، وتمثيل كبير بالبرلمان ومشاركة في الفعاليات العامة، وهو وجود غير متحقق لدى السلفيين في معظم البلدان العربية والإسلامية تقريباً.

وبالاتجاه غرباً، نجد صوتاً أعلى للسلفيين الجزائريين جاء أشد لهجة حين طالب عدد من أقطابهم بفتح أبواب الجهاد أمام الجماهير المتعطشة لرد بيت المقدس والأقصى الشريف من أيدي العدوان «الصهيويستي»، حيث قال الشيخ عبد الفتاح زيراوي إنه: «لا يعقل أن يتفرج المسلمون في بقاع العالم وفي الجزائر خصوصاً على إخوانهم في غزة وهم يُذبحون»، مؤكداً أن موقف علماء السلفية في العالم لا خلاف فيه، حول الدعوة إلى الجهاد، وإحياء هذه الفريضة ضد المحتلين الصهاينة، وأنه

دينه بدنيا غيره، وصار أداة طيعة لأعداء الإسلام والمسلمين.. لا يجوز أن نستنجد بالتالي هي الداء، أو أن نعلق قلوبنا بأعداء الإسلام والمسلمين، فلا الأمم المتحدة، ولا الاتحاد الأوروبي، ولا أمريكا، ولا من دار في فلهم سيقدم للمسلمين في غزة أو العراق أو أفغانستان شيئاً إلا الخذلان»<sup>(٣٣)</sup>.

كما نظم الدعاة السلفيون عدداً كبيراً من المحاضرات والخطب من أجل إيقاظ النفوس، تنوعت في عناوينها فشملت أطراف وتفصيل الأزمة كافة: «الأم غزة» و«واجبنا تجاه غزة» لياسر برهامي، و«محرقة غزة وجهاد الدفع» لسعيد عبد العظيم، و«نصيحة وتحليل لما يحدث في غزة» لأحمد النقيب، و«حول الانقسام الفلسطيني» لسعيد عبد العظيم، و«غزة لن تنكسر» لأبي إسحاق الحويني، و«بشائر وأمل» لسعيد الروبي، و«غزة وطريق النصر» لأحمد فريد، وكلهم رموز سلفية مصرية معروفة تحظى بكثير من القبول لدى السلفيين والإسلاميين بشكل عام. كما كان الشيخ أبو إسحاق الحويني من بين ٤٠ داعية إسلامياً مصرياً أصدروا بياناً طالب بنصرة المقاومين، وفيه طالب الشعب المصري والعالم الإسلامي بالقيام بـ«واجبهم الشرعي الذي يفرضه الإسلام»، وهو الجهاد في سبيل الله، وتقديم العون المادي للشعب الفلسطيني، وإعلان المقاطعة الاقتصادية والسياسية والثقافية لإسرائيل ومن يساندها.

وأيضاً.. فقد تفاعلت قناتا «الناس» و«الرحمة» ذاتا الاتجاه السلفي مع الحدث فبثتا عدداً من اللقطات المؤثرة من المساة، وأذاعتا عدداً من الأناشيد الحماسية التي يدعو بعضها للجهاد، وزادت في عدد البرامج التي تتناول مأساة غزة بما فيها برامج الأطفال.

ويبدو أن الخطاب السلفي الذي يستحضر العداء الأزلي بين اليهود والمسلمين قد أثار انتباهه، بل وانزعاج دوائر صهيونية، فأتهم معهد الشرق الأوسط للأبحاث (ميمري) المعني بمراقبة الإعلام العربي والإسلامي الداعية السلفي المصري محمد حسان وآخرين -من بينهم صلاح سلطان وصفوت حجازي- بالتحريض على قتل اليهود وكراهية الولايات المتحدة، بعد أحاديث متلفزة، تناولوا فيها العدوان الإسرائيلي. وبث المعهد الأمريكي على موقعه على الإنترنت مقاطع فيديو لبرامج بثتها «الرحمة» و«الناس» ونصوصاً مترجمة لأحاديث وحوارات مأخوذة من القناتين تتكلم عن الإرهاب اليهودي، وكراهية اليهود وعدائهم للإسلام.

وفي السعودية التي تفرض السلطات فيها حظراً على المظاهرات اختار السلفيون -إلى جانب الخطب والمحاضرات- إصدار البيانات الموقعة بأسماء عدد كبير من كبار دعائهم وشيوخهم، وتحت عنوان «مجزرة غزة»، أصدر عدد من الدعاة والمفكرين السلفيين تجاوز عددهم ٦٦ داعية ومفكراً بياناً

## لا يزال الخطاب السلفي في حاجة إلى إدراك أكثر لواقع ومتغيراته

نفوذًا، إلى جانب كونه رئيسًا لمجلس القضاء الأعلى في المملكة العربية السعودية<sup>(٣٧)</sup>.

وقد رفض العديد من العلماء (غير السلفيين) ما ذكره للحيثان من عدم جواز التظاهر وتعجبوا من صدور مثل هذا الكلام، وإطلاق وصف «الإفساد» على المظاهرات مع أنها وسيلة عصرية للتعبير عن الرأي، ورأوا أن القول بغير ذلك يعد إقرارًا للاستعمار وركونًا إلى الظلم<sup>(٣٨)</sup>.

لقد جاءت مواقف السلفيين متنوعة كما تبين لنا، وإن سيطر عليها في الأغلب الأعم الاتجاه التقليدي الذي تتحدد مواقفه، كما في حالات مماثلة، انطلاقًا من قراءة للمشهد مفادها أن كل ما يحل بالمسلمين من نكبات مرده إلى تخليهم عن النهج الإسلامي القويم، والضعف الذي أصاب عقيدتهم وابتعادهم عن نهج السلف، ومن المنطقي وفق هذه القراءة أن يكون معكوس هذه العلة هو أساس كل علاج لواقع الأمة المتردي بشكل عام، وهو المدخل للتعامل مع هذه الأحداث.

هذه الأعمال -الدعاء والقيام بالواجبات الدينية- لها من المشروعية ما لا يمكن لأحد أن يجادل حول قيميتها ومشروعيتها وأهميتها، لكن تبقى مشكلة هذا الخطاب في محاولة الاكتفاء بتلك الأعمال، والسكوت عما عداها، وفي بعض الأحيان الطعن في مشروعيتها وجدواها مثل الأعمال الاحتجاجية، وفي طبيعتها التظاهر من أجل الضغط على صناعات القرار السياسي العربي، ودفعه لاتخاذ مواقف أكثر إيجابية، وتقديم الإسناد المعنوي للشعب الفلسطيني الذي يطالب هو ذاته بتكثيف تلك الأعمال، ويراها عليها في مجال تحسين الأداء السياسي للنظم الحاكمة، ومحاولة لجم بعضها المنفعة نحو حالة من التساهل في الإتيان بأفعال وأقوال سلبية تدعم في طبيعتها الموقف الصهيوني.

كما يلاحظ أن كثيرًا من المنابر السلفية أثرت الابتعاد عن التعرض لحركة حماس ونهجها، وربما يعود هذا في أحد جوانبه إلى موقف قيمي من عدم تناول حركة حماس بما قد يمسه بسوء في هذا الطرف، واعتبار القضية تخص الشعب الفلسطيني بأسره، مما يشكل مخرجًا لتناول التجربة بشكل يمكن معه عدم إسناد حركة حماس بشكل ظاهر أو التعرض لها بشكل سافر في الوقت ذاته<sup>(٣٩)</sup>.

### الصوفية

بدا الصوفية تقريبًا دون موقف يمكن أن يُنسب إليهم كجماعة أو جماعات تتفاعل مع قضايا الأمة وأحداثها الكبرى،

من الواجبات التي لا يختلف رأيهم في المشرق عن نظرائهم في الدول المغاربية<sup>(٣٤)</sup>.

ودعا على بلحاج -نائب رئيس الجبهة الإسلامية للإنقاذ بالجزائر- إلى فتح الحدود أمام الجماهير العربية للجهاد<sup>(٣٥)</sup>.

لكن وبالرغم من ذلك، بقيت بنية الخطاب السلفي تدور في الفلك نفسه، فكل الكوارث والماسي التي تعيشها الأمة سببها عقائدي هو (البعد عن دين الله) أو أخلاقي (الفساد الخلقي)، ومن ثم فالحل هو العودة إلى الله؛ وهو ما لخصته مقالة الشيخ عبد المنعم الشحات، في هذا الشأن، حيث كتب يقول: «إذا كان اليهود يستأسدون اليوم على هذه الفئة المستضعفة من المسلمين، فلا أقل من أن نجتمع على اليهود بدعائنا عليهم، ودعائنا لإخواننا، وقنوتنا في صلواتنا، وعودتنا إلى ربنا، فبالطاعات يُستجاب النصر، وتُستمر الرحمة».

إذ ليس في الخطاب السلفي أبعد من هذا التفسير وأنجع من هذا العلاج، ولا مزيد من تفسيرات لأزمة المجتمعات العربية والإسلامية من التسلط، والاستبداد، والفساد السياسي والأخلاقي، والخضوع للهيمنة الغربية!.. وفي ذلك يذهب بعض المنتقدين إلى أن الخطاب السلفي يخلو من الرؤية للتعامل مع الواقع وتعقيده، فضلًا عن السعي لبناء إستراتيجية لإصلاحه، وانسجامًا مع هذا يمتنع التيار الغالب بين السلفيين عن المشاركة في الاحتجاجات والمظاهرات، كما يتجلى بوضوح في الحالة المصرية، ومبررهم في ذلك ما يسوقه الشيخ ياسر برهامي: من «أن هذه الوسائل يختلط فيها الحابل بالنابل، ويحرك الدهماء فيها ما لا يرتضيه الإسلاميون.. ويدخل فيها أهل الإفساد والغصب والسرقة، ويهتف فيها أهل الزندقة والنفاق بالشعارات المنكرة التي ينساق وراءها الناس، تحت ضغط العاطفة وسلطان الجماهير الحاشدة، التي لا تنضبط بضوابط الشرع»، حيث يقاطع السلفيون التظاهرات والاحتجاجات دون أن يقدموا بديلاً عنها، إلا انتظار تغيير الواقع بالعودة الصادقة للإسلام<sup>(٣٦)</sup>.

بل لقد وصف رئيس المجلس الأعلى للقضاء في السعودية الشيخ صالح اللحيدان المظاهرات التي تقوم بها الجماهير في العديد من الدول العربية؛ تنديداً بالعدوان الإسرائيلي على قطاع غزة، بـ«الفساد في الأرض»، مبرراً رؤيته بأن المظاهرات «تصد عن ذكر الله، حتى وإن لم يحصل فيها تخريب» وأضاف متعجباً: «متى كانت المظاهرات والتجمعات تصلح؟!». ووصف تعبير الجماهير عن مواقفها عبر التظاهر بأنه «استنكار غوغائي؛ إذ إن علماء النفس وصفوا جمهور المظاهرات بـ«من لا عقل له» حسب قوله.

وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ صالح بن محمد اللحيدان يعد أكثر أعضاء هيئة كبار العلماء (المؤسسة الدينية الرسمية)

الإسلامية في حق هؤلاء الإخوة لنا في الإنسانية وفي الدين يُذبحون بدون جريرة». وانتقد أيضاً التحركات التي قام بها الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين برئاسة الشيخ القرضاوي وزيارته ووفد الاتحاد عددًا من رؤساء الدول، وقال إن اسم الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، ينسجم انسجامًا تامًا مع فتوى ينبغي أن تصدر من هذا الاتحاد ولكنه لا ينسجم أبدًا مع تحرك أعضاء هذا الاتحاد يمينًا وشمالًا حركات سياسية تنافس أو تسابق أو تزامح الناس المختصين بالسياسة والذين يتحركون بطبيعة الحال في هذا الصدد وعلى هذا المستوى.. الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين ما ينبغي أن يغطي نفسه بحركات من بلد إلى بلد، وإنما ينبغي أن يصدر الفتوى التي تنبئ عن حكم الشريعة الإسلامية في هذا الأمر<sup>(٤٢)</sup>.

- وفي مصر خيم الصراع على رئاسة المجلس الأعلى للطرق الصوفية على تفاعلٍ ولو محدود، للمجلس كـ«هيئة» تعبر عن مجموعة من الطرق الصوفية المنضوية تحت عبايته، أو تتوازي مع الاتجاه الرسمي بحكم تبعية المجلس ولوائه للسلطة السياسية في البلاد، ومع ذلك لم يخل الأمر من تصريحات عامة وفضفاضة، لا تعبر عن نشاط حقيقي أو اهتمام كبير يتوازي وجسامته الحدث.

فالشيخ علاء أبو العزائم -أحد المتنازعين على رئاسة المجلس الأعلى للطرق الصوفية في مصر- قال إن موقف غزة لا ينفذ فيه دور أي مسلم، ملفيًا به «الدور» على عاتق «الحكومة» فهي التي تتدخل، والدور الحقيقي الذي (ينبغي أن) تقوم به فعلا هو نبذ الخلافات التي بين المسلمين، بين حماس و(منظمة) التحرير، وبين الشيعة والسنة، بين كل الفرق الإسلامية الموجودة في الساحة الإسلامية. كما دعا إلى مقاطعة البضائع والمنتجات الأمريكية<sup>(٤٣)</sup>.

من جانبه طالب الشيخ عبد الهادي القسبي، المتنازع الآخر على رئاسة المجلس الأعلى للطرق الصوفية، في بيان ألقاه باسم المجلس، أثناء احتفال عدد من الطرق الصوفية ببدء العام الهجري، طالب منظمات حقوق الإنسان والمجتمع الدولي والأمم المتحدة بالتدخل لإنقاذ أهالي غزة ووقف المجازر الإسرائيلية. ودعا الفصائل الفلسطينية إلى تجاوز الخلافات الشخصية<sup>(٤٤)</sup>.

#### خاتمة:

كشف تفاعل المؤسسات الدينية الإسلامية مع العدوان الإسرائيلي على غزة، تطابقًا في حركة الديني والسياسي إلى حد كبير. وبالرغم من تفاوت درجة هذا التطابق من نموذج لآخر، إلا أنه يمكن الإمساك بخطوط عريضة تؤيد هذه الخلاصة.

فلا نكاد نتبين توجهاً جمعياً يعبر عن رؤية واضحة وتوجهات محددة، وإن كان هذا لا ينفي القيام بدور ما حتى وإن كان ضئيلاً، يقتصر على الدعوة والخطابة وإطلاق بعض التصريحات الإعلامية هنا أو هناك.

- فقد قال الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي في أول خطبة جمعة بعد بداية العدوان في ٢٠٠٩/١/٢ وكان عنوانها «التنكر لمعاني الهجرة»، قال: «فوجئنا بما قد رأيناه من أن معظم قادة العالم العربي والإسلامي منتكرون لمعاني الهجرة وعظاتها، مُعرضون عنها مستخفون بها، أوصانا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من خلال هجرته من مكة إلى المدينة بأن نضحى بالدينا كلها، بمظاهر الرئاسة فيها وكل أنواع المشتبهات والأهواء التي تتألق فيها في سبيل القيم الإنسانية والمبادئ التي شرّفنا الله -سبحانه وتعالى- بها، وننظر وإذا بُجل هؤلاء القادة يسرون على النقيض من وصية رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، يضحون بالمبادئ الإنسانية والقيم السامية الراسخة في سبيل المشتبهات والأهواء وفي سبيل استبقاء الكراسي والعروش». وقال مخاطبًا كل قائد: «سترحل إلى الله بشيء واحد، بعملك الصالح، بخدمتك لإخوانك، بتحقيقك وتنفيذك لولائك إذ يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخْوَابِكُمْ﴾ يا عجباً لمن يسمع كلام الله ويصك أذنيه ثم يأتي إلا أن يفسد ما بينه وبين أخويه، يستصرخه إخوانه في الله أن يفتحوا السبل أمامهم، أمام مرضاهم، أمام جرحاهم، أمام المحتاجين منهم، ليصافح الأخ أخاه، ليعانق الأخ أخاه، ليعين الأخ أخاه فلا يستجيب هؤلاء القادة إلا بإغلاق الأذن وإغلاق السبل، أمّا إسرائيل فتأمر لتطاع، تحكم ليُنعَضَ لها الرأس بذل<sup>(٤٥)</sup>.

وركز الدكتور البوطي في الجمعة التالية ٢٠٠٩/١/٩ على دور المؤسسات الدينية، وقال إنه يجب التحرك على صعيد المحور الديني. وكان واضحًا في دعوته إلى التحرك المؤسسي لا الاقتصار على مستوى الأنشطة الفردية من إلقاء الخطب والمواعظ والبيانات الفردية، فهذا كله يذهب أدراج الرياح، بحسب تعبيره. وانتقد المؤسسات الدينية واصفًا إياها بأنها «لا تزال جاثمة ساكنة هادئة هداة الموت». وعدد أمثلة على هذه المؤسسات، فذكر المجمع الفقهي المنبثق من منظمة المؤتمر الإسلامي والأزهر والاتحاد العالمي لعلماء المسلمين. وقال إن المطلوب «أن تجتمع هذه المؤسسات كلها على إصدار فتوى تعلن من خلالها حكم الله سبحانه وتعالى، تعلن من خلالها قرار الشريعة الإسلامية في حق من يمدون يد التواصل والود والقربى إلى أعداء الله وأعداء الإنسانية وأعداء إخوانهم في الدين. أعني بتحرك هذه المؤسسات فتوى ينبغي أن تصدر واحدة متفقة باسم هذه المؤسسات تنطق بحكم الشريعة

ويجافيتها؛ لأن الأمر أكثر تعقيداً وتشابكاً ويتنافى مع طبيعة العلاقات الدولية السائدة.

كما غاب عن الأزهر -بطبيعة الحال- دعم «خيار المقاومة» الذي تسعى إسرائيل والقوى الكبرى إلى وقف جميع أشكاله نهائياً والتسليم النفسي والسياسي والفكري بقبول إسرائيل واقعاً وقانوناً، وليس المقصود بـ«المقاومة» محض المقاومة العسكرية فقط، بل إن العدوان الإسرائيلي على غزة دفع للصدارة من جديد خيار المقاومة الحضارية الشاملة.

- وجاء خطاب المفتي ودار الإفتاء المصرية أفضل نسبياً، وإن دار في فلك خطاب المؤسسة الكبرى (الأزهر)، ومع ذلك فقد كانت نبيرة المفتي أكثر حدة في انتقاداته التي وجهها إلى إسرائيل وطريقته في الحديث عنها، ووصفه لما ترتكبه بـ«الهولوكوست»، وهو ما نقله أيضاً لمسؤولين غربيين كما جاء في لقائه بالسفير الفرنسي بالقاهرة، ودعا أيضاً إلى اتخاذ خطوات أكثر عملية بمطالبته الدول العربية والإسلامية المنتجة للنفط بإخراج زكاة نفطهم باعتبارها «فرضاً»، وتدخل في باب «جهاد الدفع» لمساعدة المسلمين في أرض المعركة على الصمود أمام العدو. وأفتت دار الإفتاء بجواز إخراج الزكاة للفلسطينيين لصد العدوان وإعانتهم على مقاومة العدو.

- وتميز خطاب المؤسسات الدينية فيما اصطلح على تسميته بـ«محور الممانعة»، بأنه كان أكثر حرية في تناوله للقضية وهجومه على إسرائيل والقوى الغربية ودول «الاعتدال» العربية لاسيما مصر والمملكة العربية السعودية. وكشف خطاب هذه المؤسسات عن وضوح في الرؤية والتحليل، وتفاعل مع الجماهير بحماس شديد وعبر عن عواطفهم وأسهم في تأجيج المظاهرات المناهضة للعدوان والمهاجمة للدول العربية في «محور الاعتدال». كما تميز الخطاب برؤيته المركبة التي تنظر للقضية بمختلف أبعادها وتجمع بين عناصرها المتناثرة لتخرج في النهاية برؤية شاملة للقضية محل النظر. ومطالعة خطب وتصريحات علماء ومراجع الشيعة تكشف بوضوح شديد عن هذا الأمر، فخطاب هذه المؤسسات وإن كان متسقاً مع الخطاب السياسي الذي تتبعه، لكنه على خلاف مثال المؤسسة الدينية الرسمية المصرية لم يكن تابعاً له أو مضخماً لدوره، ولم تتبارر رموزه الدينية في امتداح القادة السياسيين وإضفاء هالة من الحكمة والقدسية على أدائهم لأدوارهم في هذه القضية، بل قد نجد في خطبهم تصريحاً أو تلميحاً بالاتفاق مع جهد مبذول أو سياسة معينة، بما يُشعر بنِدَّة في الخطاب وتوازٍ في المستوى.

- وكذا جاء بيان رئاسة الشؤون الدينية في تركيا، متسقاً مع الخطاب الرسمي التركي ومتفاعلاً معه، وإن لم تظهر له أهمية كبيرة بسبب الطبيعة العلمانية للجمهورية التركية، كما أنه جاء متوازناً، ولم تتجه سهام الانتقاد فيه إلى نحر إسرائيل ومن

وبرزت إلى جانب المؤسسات الرسمية أو شبه الرسمية، مؤسسات مستقلة أو شبه مستقلة عن الأنظمة الرسمية، حاولت الحركة -قدر المستطاع- في هذا الفضاء المملو، وإن كان لا يمكن الجزم بنجاحها في أداء الأدوار التي اختارتها لنفسها أو نُفِعت إلى القيام بها أو لم تتمكن من غيرها، بل لعل الفشل كان حليفها، إلا أنه يمكننا القول بأن حركة هذه المؤسسات، سواء تمثلت في الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين أو تجمعات العلماء الذين يُصدرون بيانات للإدانة ودعوات مختلفة لمعالجة القضية، يمكن البناء عليها، ولا بد من تطويرها واستثمار ما حققت من نتائج، وتقييم ما تم من تحركات، حتى يكون لها دور أكثر فاعلية في المستقبل القريب.

- وإذا استعرضنا المؤسسة الدينية في مصر كقابلة علمية عالمية لها مكانتها الكبيرة في نفوس المسلمين في بلد محوري وطرف أصيل في الصراع العربي الإسرائيلي، فإننا رصدنا تفاعل المؤسسات الدينية فيه أيضاً كبلد قائد فيما يسمى بـ«محور الاعتدال العربي» وانعكاس الانتساب لهذا المحور على خطابها. فلقد اهتمت المؤسسة الدينية في مصر، بروافدها المتعددة -المتتمثلة في مشيخة الأزهر ومجمع البحوث الإسلامية ودار الإفتاء ووزارة الأوقاف وجامعة الأزهر- بمخاطبة ومناشدة المؤسسات الدولية والمنظمات الحقوقية ووقف العدوان، كما اهتمت بدعم الموقف المصري وتأييده والتماهي مع الخطاب الرسمي، مثل تركيز مجمع البحوث الإسلامية على استشهاد رائد بقوات حرس الحدود المصرية أنهم في قتله عناصر من حركة حماس. وعلى صعيد آخر كان مستهجنًا تبرير المجمع مصادفة شيخ الأزهر للرئيس الإسرائيلي باعتبارها ذات دلالة على سماحة الإسلام، لاسيما في ظل اشتداد وطأة العدوان الإسرائيلي، فأبي سماحة يمكن إظهارها في هذا المقام؟! الأمر الذي يكشف عن أولويات الخطاب الذي يقدمه المجمع أكثر مما يطرحه من علامات استفهام كثيرة حوله.

وفي أسلوب لا يختلف عن غيره في الظروف والأحوال العادية نسب الأزهر كل ما تم إلى السياسات التي اتخذها النظام المصري، ونسب كل الجهود التي بذلها النظام المصري إلى شخص الرئيس، وهو ما يشير إلى إهمال تصور الأزهر لمفهوم العمل المؤسسي، وهو أكثر ما تحتاج إليه الأمة. كما أن الخطاب على هذا النحو وبهذا الأسلوب يضر كثيراً بمفهوم الأمة، في الوقت الذي نحتاج فيه إلى تعميق معاني الوحدة وتضافر الجهود بين عناصر الأمة، وليس التفاخر ببذل جهود هي في الأصل واجبة وليست منحة، وضرورية للأمن القومي المصري قبل أي اعتبار آخر (على الأقل في منظور صناع القرار السياسي). كما أن نسبة نجاح وقف إطلاق النار لطرف واحد (ثم لشخص واحد) أمر يخالف الحقيقة

وفي الوقت الذي جاءت فيه تحركات «الاتحاد» السياسية ضعيفة، جاء التحرك الدعوي لرئيسه الشيخ يوسف القرضاوي قوياً وفاعلاً، فدعوته إلى «جمعة الغضب» يوم ٩/١/٢٠٠٩، شهدت استجابة قوية من جانب الجماهير في الشارع العربي والإسلامي، وهي الدعوة التي أثارت مخاوف إسرائيلية قبل الاستجابة لها شعبياً، فقد قال «يوسي ميلمان»، محلل الشؤون الأمنية والاستخباراتية بصحيفة «هآرتس» الإسرائيلية يوم ٩/١/٢٠٠٩، إن هناك مخاوف إسرائيلية جمّة من دعوة الشيخ يوسف القرضاوي، رئيس الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، التي وجهها للأمم من أجل أن يكون اليوم الجمعة يوم غضب عالمياً لنصرة قطاع غزة، بدعوى أنها قد تثير العنف في أنحاء العالم ضد الأقليات اليهودية<sup>(٤٦)</sup>.

- وجاء الخطاب السلفي دون جديد يُذكر، فقد جاء تفاعله مع الحدث في حدود المتوقع والمتنظر منه، وهذا لا يقلل من دوره في إثارة حماس الجماهير وتعبئة الشعور الديني الخاص بالفضية لديهم، وإن كان الخطاب السلفي لا يزال في حاجة إلى إدراك أكثر للواقع ومتغيراته، فرفض وسيلة «التظاهر» من بعض الرموز السلفية، مثل ما سُمي بفتوى الشيخ صالح اللحيدان وكذلك بعض الدعاة السلفيين في مصر، لم يعد أمراً مقبولاً؛ فالتظاهر وسيلة من وسائل التعبير عن الرأي ويمكن تنفيذه بأشكال متعددة تجعله يتجاوز المخاوف التي يثيرها الخطاب السلفي. أما القول برفض التظاهر، فهو قول خارج سياق التاريخ، لا يتسق مع الواقع ويتنافى معه، فالمظاهرات سبيل لبيان خيار الشعوب ودعمها لخيار ما، هو في هذه الحالة «خيار المقاومة»، وإن كانت تجدر الإشارة إلى بعض المواقف في الخطاب السلفي جاءت على خلاف السائد مثل ما ذكره الشيخ عوض القرني عن استهداف المصالح الإسرائيلية وكذا جاء الخطاب السلفي في الجزائر أعلى صوتاً وأشد لهجة.

- أما الخطاب الصوفي فكان باهتاً لأقصى درجة، بل إنه كان منعدماً تقريباً في هذا الحدث الجلل، وخطاب الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، على سبيل المثال، الذي جاء قوياً وشديداً إنما كان بهذه القوة لوزن الرجل وقدره العلمي، ولم يكن ضمن إطار حركي أو منظومة عمل، ولهجته الحادة التي انتقد فيها عدداً من المؤسسات الدينية، ساعده عليها وجوده في سوريا، أحد أعضاء «محور الممانعة» فكان خطابه متسقاً مع الخطاب الرسمي في بلده، لا خارجاً عنه في جُل ما قال.

وجاءت معركة النزاع على مقعد شيخ مشايخ الطرق الصوفية في مصر، لتذهب بإمكانية اتخاذ المجلس الأعلى للطرق الصوفية في مصر أي دور أو توجه، حتى ولو كان معروفاً سلفاً أنه لن يخرج عن دعم الجهود التي يبذلها النظام المصري والاكتفاء ببيانات الشجب والإدانة، وهو ما بدا في

يساند توحشها دون تحديد، حتى إن البيان خلا من ذكر كلمة «إسرائيل» واستعاض عنها بالضمائر. وركز على الدلالات التاريخية المتعلقة بما أُتخذ ضد اليهود من سياسات قسرية وإعادة تنفيذ الإسرائيليين لها مع الشعب الفلسطيني، وما أُتخذ خلال القرن الماضي من سياسات خاطئة أدت إلى انتشار العنف والصراع والإرهاب وتصديره من منطقة الشرق الأوسط. وكذا ركز على ما يتعلق بالصدام بين الأديان والحضارات، فاستدعاء الأبعاد الحضارية والتاريخية في الخطاب التركي أمر ينبغي الالتفات إليه والوقوف عنده، فقد قال رجب أردوغان رئيس الوزراء التركي في معرض اتهامه وانتقاده عدوان إسرائيل، إنه لن يترك هذا يمضي دون تأثير؛ فهو حفيد أجداده العثمانيين، الذين سبق أن حموا اليهود وأوهم حين طردوا مع المسلمين من الأندلس مؤكداً «أن الأتراك العثمانيين أنقذوا أجداد ليفني (وزيرة الخارجية الإسرائيلية) وباراك (وزير الدفاع) من مظالم الصليبيين في إسبانيا عام ١٤٩٠م لدى سقوط الدولة الأندلسية»، وكانت هذه هي المرة الأولى التي يذكر فيها مسؤول رسمي كلمة «الأتراك العثمانيين»، منذ سقوط الدولة العثمانية وإنهاء خلافتها عام ١٩٢٤، وهذه الأبعاد التاريخية والحضارية هي ما تغيب عن خطاب مؤسسة عريقة كالأزهر الشريف.

- وجاءت تحركات الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، التي زار فيها وفد من العلماء برئاسة الشيخ يوسف القرضاوي عدداً من الدول والالتقاء بقادتها، جاءت هذه التحركات باهتة الشكل والمضمون، فلقاءات الوفد لم تسفر تقريباً عن شيء يُذكر، وتم التكتّم على مضمونها، فضلاً عن اعتذار الرئيس المصري حسني مبارك عن عدم لقائه، وعدم تمكنه من لقاء عمرو موسى الأمين العام لجامعة الدول العربية.

ويمكن عزوُّ هذا الأمر إلى الدعم الذي حظي به الاتحاد من قطر، وهي التي انضمت إلى سوريا وإيران لتكون أحد أركان «محور الممانعة»، وهذا أمر يتجلى بوضوح في تخصيص أمير قطر الشيخ حمد بن خليفة آل ثان طائرة أميرية تُقلُّ العلماء في جولتهم، وإشادة الشيخ القرضاوي بموقف أمير قطر من العدوان الإسرائيلي على غزة، بل إنه ذكر أنه عندما زار وفد الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين الأمير لتحميمه بشأن قضية غزة، قال: «إذًا به يحمسهم.. فمآزحته بقولي سنضمك إذن إلى الاتحاد»، وأضاف أنه «في قطر ذاب الحاجز بين الرسمي والشعبي.. وبين الدولة والجماهير»<sup>(٤٥)</sup>، فكان من الطبيعي أن تحرص دول «محور الاعتدال» على عرقلة جهود وفد الاتحاد.

وبالرغم من هذا.. فقد كانت جولة وفد علماء الاتحاد خطوة إيجابية منه في التقاء قادة الدول والتواصل بين السياسة والعلماء، وهي خطوة جديدة بالبناء عليها دون انتظار لوقوع أحداث جسام.

- (١١) جريدة صوت الأزهر ٢٠٠٩/١/٣٠ - عدد ٤٨٨ .  
(١٢) جريدة صوت الأزهر ٢٠٠٩/٢/٦ - عدد ٤٨٩ .  
(١٣) جريدة صوت الأزهر ٢٠٠٩/١/١٦ - عدد ٤٨٦ .  
(١٤) صوت الأزهر ٢٠٠٩/٢/٦ - عدد ٤٨٩ .  
(١٥) صحيفة الوفاق الإيرانية - العدد ٥٤ ، ٢٠٠٨/١٢/٣٠ .

<http://www.al-vefagh.com/1387/871010/html/mahaliat.htm#s424191>

- (١٦) صحيفة الوفاق الإيرانية - ٢٠٠٩/١/٤ .

<http://www.al-vefagh.com/1387/871105/html/mahaliat.htm>

(17)<http://www.hizbollah.tv/essaydetails.php?eid=12141&cid=199&st>

(18)<http://www.hizbollah.tv/essaydetails.php?eid=12162&cid=199&st>

(19)<http://www.hizbollah.tv/essaydetails.php?id=12176&cid=199&st>

(20)<http://www.hizbollah.tv/essaydetails.php?eid=12172&cid=199&st>

(21)<http://www.hizbollah.tv/essaydetails.php?eid=12425&cid=199&st>

(22)<http://www.hizbollah.tv/essaydetails.php?eid=12171&cid=199&st>

(23)<http://www.al-vefagh.com/1387/871012/html/mahaliat.htm>

- (٢٤) وكالة مهر للأنباء: ٢٠٠٩/١/١٦ .

<http://www.mehrnews.com/ar/NewsDetail.aspx?pr=s&query=&NewsID=817397>

(25)<http://www.hizbollah.tv/essaydetails.php?eid=12478&cid=199&st>

(26)<http://www.diyaret.gov.tr/arabic/tebligkn.asp?id=117>

(٢٧) ضم الوفد كلا من الرئيس السوداني الأسبق المشير عبد الرحمن سوار الذهب، والدكتور نصر فريد واصل مفتي جمهورية مصر الأسبق، والدكتور على القره داغي أستاذ ورئيس قسم الفقه في جامعة قطر، والدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام السابق لرابطة العالم الإسلامي بالسعودية، والدكتور أحمد الريسوني الخبير المغربي في مجمع الفقه الإسلامي الدولي، والمفكر الإسلامي السعودي الدكتور سلمان بن فهد العودة، والدكتور عبد الوهاب

التصريحات الهزيلة للمتنازعين على مقعد شيخ المشايخ، من الدعوة التقليدية إلى نبذ الخلافات الفلسطينية، ومناشدة المجتمع الدولي وقف المجازر في غزة. ويضيف الشيخ علاء أبو العزائم أن الدور في مثل هذه المحن يقع على عاتق الحكومات دون الشعوب!! مع أن صياغة إستراتيجيات الأمن القومي صارت منوطة بالقوى المختلفة في المجتمع، وليست حكراً على الدوائر الحكومية أو العسكرية أو ما شابه، وإن كانت هذه الرؤية لم تتبلور بعد في المنطقة العربية.

وختاماً.. يمكننا استخلاص عدة نماذج تعبر عن علاقة الديني بالسياسي وفق ما أظهره تفاعل المؤسسات الدينية الإسلامية مع الحرب على غزة:

١- نموذج تبعية الديني للسياسي، وهو ما يعبر عنه حال المؤسسة الدينية الرسمية في مصر.

٢- نموذج تعضيد وتأييد الديني للسياسي، وهو ما يعبر عنه حال المؤسسات الدينية فيما يسمى بمحور الممانعة.

٣- نموذج توافق وتلاقي رغبتني والسياسي في القيام بدور ما، وقد تجلى هذا الأمر في تلاقي رغبة الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين في القيام بما رآه واجبه في تقديم النصح لقيادة الأمة مع رغبة قطر في القيام بدور ما على الساحة العربية.

٤- نموذج غياب الديني عن السياسي نكوصاً عن أداء الدور وإيثاراً للسلامة الشخصية، وهو ما يظهر بدرجات مختلفة لدى الصوفية والسلفية.

#### الهوامش:

- (١) جريدة صوت الأزهر ٢٠٠٩/١/٢ - عدد ٤٨٤ .

- (٢) جريدة صوت الأزهر ٢٠٠٩/١/٩ - عدد ٤٨٥ .

- (٣) جريدة صوت الأزهر ٢٠٠٩/١/١٦ - عدد ٤٨٦ .

- (٤) جريدة صوت الأزهر ٢٠٠٩/١/٢٣ - عدد ٤٨٧ .

(5)<http://www.dar-alifta.org/Viewstatement.aspx?ID=86&type>

- (٦) جريدة صوت الأزهر ٢٠٠٩/١/٩ - عدد ٤٨٥ .

- (٧) جريدة صوت الأزهر ٢٠٠٩/١/٢٣ - عدد ٤٨٧ .

(8)<http://www.dar-alifta.org/ViewFatwa.aspx?ID=692&LangID=1>

(9)[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1232171479970&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1232171479970&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)

- (١٠) جريدة صوت الأزهر ٢٠٠٩/١/٢ - عدد ٤٨٤ .

(٣٥) علاء النادي: السلفيون والإخوان وغزة.. قراءة في المواقف والرؤى -

إسلام أون لاين . نت - ٢٠٠٩/١/٣

[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1230650226732&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1230650226732&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout)

(٣٦) على عبد العال: السلفيون ومأساة غزة.. تطور يراوح مكانه! -

إسلام أون لاين . نت - ٢٠٠٩/١/٥

[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1230650272805&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1230650272805&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout)

(37)[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1230650254496&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1230650254496&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)

c=ArticleA\_C&cid=1230650254496&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout

(38)[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1231149209214&pagename=Zone-Arabic-Shariah%2FSRALayout#up](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1231149209214&pagename=Zone-Arabic-Shariah%2FSRALayout#up)

c=ArticleA\_C&cid=1231149209214&pagename=Zone-Arabic-Shariah%2FSRALayout#up

(٣٩) علاء النادي: السلفيون والإخوان وغزة.. قراءة في المواقف والرؤى -

إسلام أون لاين . نت - ٢٠٠٩/١/٣

[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1230650226732&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1230650226732&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout)

(٤٠) سورة الحجرات: من الآية ١٠.

(41)<http://www.bouti.net/article.php?PHPSESSID=cd3cc26905d083be0a98ae53467074f2&id=743>

D=cd3cc26905d083be0a98ae53467074f2&id=743

(42)<http://www.bouti.net/article.php?PHPSESSID=cd3cc26905d083be0a98ae53467074f2&id=746>

cd3cc26905d083be0a98ae53467074f2&id=746

(43)<http://www.islamonline.net/livedialogue/arabic/Browse.asp?hGuestID=76T5mD>

hGuestID=76T5mD

(٤٤) المصري اليوم: ٢٠٠٩/١/١.

(45)[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1232976558973&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1232976558973&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)

c=ArticleA\_C&cid=1232976558973&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout

(46)[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1231223523353&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1231223523353&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)

c=ArticleA\_C&cid=1231223523353&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout

الدليمي وكيل جامعة الإيمان باليمن، والمفكر الإسلامي عصام البشير من السودان، والدكتور إسحاق الفرحان وزير التربية والأوقاف الأردني الأسبق، والأمين العام السابق لحزب جبهة العمل الإسلامي الأردني، والدكتور نور وحيد هدايت رئيس مجلس الشورى الإندونيسي.

(٢٨) وهو ما تمت الاستجابة له شعبياً، فقد شهد العديد من المدن

الرئيسية في الدول العربية خروج حشود وصلت إلى مئات الآلاف من المواطنين للتعبير عن غضبهم ضد جرائم الاحتلال الإسرائيلي، مطالبين بفتح معبر رفح ورفع الحصار عن قطاع غزة، وطرد السفير الإسرائيلي من القاهرة.

وفي العاصمة القطرية الدوحة خرجت مظاهرات حاشدة بقيادة صاحب دعوة «جمعة الغضب» الشيخ يوسف القرضاوي الذي دعا خلال المظاهرة إلى مقاطعة المنتجات الأمريكية.

[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1231223526626&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1231223526626&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)

(29)[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1230650245725&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1230650245725&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)

c=ArticleA\_C&cid=1230650245725&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout

<http://www.islamonline.net/Arabic/news/2009-01/05/06.shtml>

[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1231223490432&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1231223490432&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)

(30)<http://www.fiqhacademy.org.sa/bayanat/24.htm>

(31)<http://www.fiqhacademy.org.sa/bayanat/25.htm>

(32)[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1232171511843&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1232171511843&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout)

c=ArticleA\_C&cid=1232171511843&pagename=Zone-Arabic-News/NWALayout

(33)<http://www.al-fath.net/new/detailes.asp?nID=2798&ID=20>

=2798&ID=20

(٣٤) على عبد العال: السلفيون ومأساة غزة.. تطور يراوح مكانه! -

إسلام أون لاين . نت - ٢٠٠٩/١/٥

[http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA\\_C&cid=1230650272805&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout](http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?c=ArticleA_C&cid=1230650272805&pagename=Zone-Arabic-Daawa%2FDWALayout)

